لقاء

مراد أوزيلدريم وجهٌ عربي وآخر تركيّ لتاريخ واحد

عِقدٌ موسيقيّ لا ينقطع

اكتشف الباحث التركي الموسيقى العربية عبر إذاعات كان يستمع إليها صغيراً، هو الذي يذكر حتّى اليوم عبارة «هنا القاهرة» وشراءه أوّل شريط كاسيت لأم كلثوم. شغفٌ سيقوده، لاحقاً، للتخصّص في هذا الحقل وفي الروابط الموسيقية بين العرب والأتراك

إسطنبول ـ **أحمد زكريا**

يعود اهتمام الباحث والأكاديمي التركي مراد أوزيلدريم بالموسيقى العربية وتاريخها إلى أكثر من ثلاثين عاماً. خلال هذه المدّة، نشر العديد من الأبحاث والمقالات حول العلاقات الموسيقية بين الأتراك والعرب، وألقى العديد من المحاضرات حول الموضوع في تركيا ومصر وفلسطين ولبنان. كما أصدر، في 2013، كتاباً بعنوان «وحدة الموسيقى العربية والتركية في القرن العشرين»، وأنشأ، في العام نفسه، أوّل موقع إلكتروني مخصّص باللغة التركية لأم كلثوم، التي يعمل حالياً على إنهاء كتاب حولها، من المنتظر أن يصدر قريباً.

في حديث إلى «العربي الجديد»، يتحدّث الباحث التركي حول بدايات اهتمامه بالموسيقى العربية. يقول: «كنتُ طفلاً أقيم مع عائلتي في إسطنبول، وكنت أستمع إلى محطّات الراديو قبل النوم، ومن بينها الإذاعة المصرية. أعرف تلك المحطّة جيّداً، وما زلت أذكر عبارة «من القاهرة». جَذَبت هذه الإذاعة انتباهي إلى الأغاني التي كانت تُذاع من القاهرة، ولكنّ ما لفتَ انتباهي، على وجه الخصوص، كان صوتاً نسائياً جميلاً. كان ذلك، على ما أعتقد، عام 1986. في تلك الفترة، كانت أشرطة الكاسيت تُباع على الحصير أمام جامع سلطانة والدة، وبينما كنت أقلّب في أحد الأيام بين الأشرطة المعروضة، وجدت شريط «طلع البدر علينا» لأم كلثوم».

يضيف: «كنت سمعت اسم أم كلثوم وعبد الوهاب من والدي وجدّتي، عندما كانا يتحدّثان عن الأفلام المصرية التي شاهداها في إسطنبول، أربعينيات القرن الماضي. عندما عدت إلى المنزل، وجدت أن الصوت الذي في الشريط هو صوت أم كلثوم الذي كنت أتابعه على الإذاعة المصرية. وكان من الصعب جداً الحصول على أشرطتها في تركيا آنذاك. هكذا بدأت في إنشاء أرشيفي الخاص. وبعد أن انتقلت إلى جامعة مرسين، شاركتني صديقتي الأكاديمية إسما دوروجونول أرشيفها الخاص، وبعد ذلك كان تلميذي علي كوه يأتي لي بأشرطة كثيرة من سورية التي كان يتردّد عليها آنذاك. ومن هنا بدأ اهتمامي بالموسيقى العربية، وجمَعت أجمل أصوات المغنين، مثل محمد عبد الوهاب وليلى مراد وصباح فخري ووديع الصافي وناظم الغزالي وفيروز ولطفي بوشناق، إضافة إلى أم كلثوم التي فُتنتُ بصوتها».

وحول انطباعاته عن الموسيقى الكلاسيكية العربية والتركية، يقول أوزيلدريم: «إذا كان من المفترض أن نضع اسماً لهذين النوعين من الموسيقى، فإنني أُفضّل استخدام «الموسيقى الشرقية». صحيحٌ أن هنالك فروقات بين هذين اللونين، ولكن ثمّة الكثير من الخصائص المشتركة بينهما. مرّت الموسيقى العربية بتحوّل كبير منذ الثلاثينيات، خصوصاً مع تدخّل المجدّد محمد عبد الوهاب، في رأيي. من الممكن أن تجد أوجه تشابه عديدة بين الموسيقى الكلاسيكية العربية والتركية، ولكنّ هذا ليس مجرّد تشابه في الأنماط والمقامات أو استخدام نفس الآلات والجلوس أثناء الغناء. يكفينا أن نتابع رحلات الفنانين بين إسطنبول والقاهرة لنجد الكثير ممّا يُفيدنا في هذا السياق».

وعن بدايات تجديد مسار الموسيقى العربية، يقول الباحث التركي: «أثّر محمد عبد الوهاب على مسار الموسيقى العربية وغيّره. وأحبّ أن أذكر هنا شيئاً. ربما ليس معروفاً. وهو أن أمّ عبد الوهاب تركيّةٌ من بورصة، وهو ما ذكره عبد الوهاب نفسه في حوار أجراه معه المؤرّخ التركي مراد باردقجي، ونُشر في صحيفة «حريات» التركية عام 1982. تحمل الموسيقى العربية والتركية سماتٍ مشتركةً بين المجتمعَيْن، مثل عائلة عبد الوهاب تماماً. وقد ساعد عبد الوهاب في ذلك وجودُ أفضل الأصوات العربية في عصره، كليلى مراد وأسمهان. وفي رأيي الشخصي، أصبحت الموسيقى العربية أكثر تأثيراً بعد زيادة عدد الآلات الوترية فيها، وبعد عقود قليلة اتّبع الأتراك العرب في هذا الأمر».

وفي سياق حديثه عن التفاعل الموسيقي بين الثقافتين العربية والتركية، يُشير أوزيلدريم: «أقول دائماً، نحن الأتراك والعرب من الشرق الأوسط، نحن المَلَاك الحقيقيون للشرق الأوسط. هذه الجملة التي تبدو بسيطة تتضمّن تعريفاً لمفهوم حضاري. هنا، تختلف وجهة نظر إلى التاريخ وطريقة التعامل مع الموسيقى عن الغرب تماماً. وسواء اعترفنا بذلك أم لا، فإن الشرق الأوسط مختلف، وله هيكل فريد خاص به. أقول «مختلف»، وأستخدمها بشكل إيجابي. هذا الاختلاف أساس فهمنا المشترك ـ كأتراك وعرب ـ للحضارة. لا شكّ في أن الأتراك والعرب عاشوا معاً لمئات السنين، ولسوء الحظ أننا نتذكّر المرحلة العثمانية فقط! نعم، هي تاريخنا المشترك القريب، ولكنّ معظمنا ينسى، مثلاً، حضور الأتراك في الجيش العباسي، والدولة الطولونية، ودولة المماليك في مصر، والأتراك الذين يعيشون في العراق ولبنان وفلسطين وسورية، وحتى في ليبيا والجزائر. لدينا إخوةٌ عرب، أيضاً، في المدن الجنوبية لتركيا».

في كتابه «وحدة الموسيقى العربية والتركية في القرن العشرين»، ركّز أوزيلدريم على الدور الذي لعبته التكايا الصوفية في التفاعل بين الموسيقيَّتَيْن. يقول إلى «العربي الجديد»: «كما هو معروف، فإن التكايا الصوفية هي مراكز دينية كانت منتشرة في جميع أنحاء الدولة العثمانية تقريباً. وتنتشر المولوية، مثلاً، في منطقة جغرافية شاسعة بين قونية وإسطنبول والقاهرة وحلب ودمشق وغيرها من المدن. وكما نعلم، فإن للموسيقى مكانة كبيرة في المولوية. في الحقيقة، يمكن النظر إلى تلك التكايا باعتبارها مراكزَ موسيقية دينية. ويجب ألّا ننسى جمهور النخبة في التكايا من العارفين بفنون الموسيقى، لأنهم لا يقلّون أهمّيةً عن مؤلّفي الموسيقى. بالطبع، لم يكن كلّ المستمعين في التكايا هكذا، ولكن يمكن أن نجد أمثلة كثيرة على النوعية التي أقصدها من المستمعين للموسيقى في أواخر الدولة العثمانية، بالأخص في إسطنبول والقاهرة».

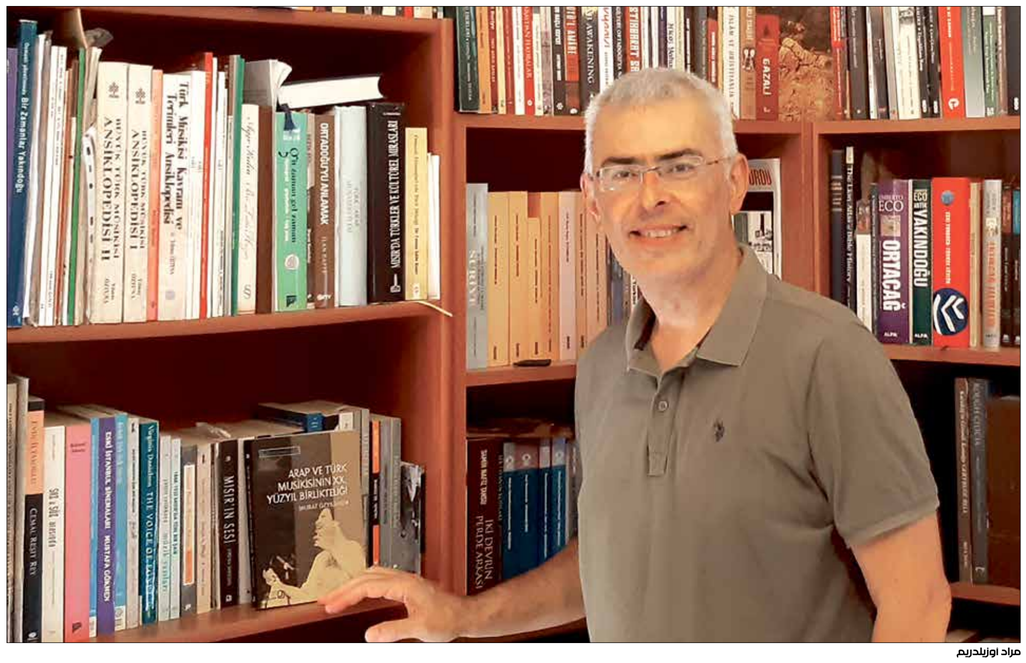
مراد أوزيلدريم

> الرابط الموسيقي بين العرب والأتراك يتجاوز العهد العثماني

> كان لأغاني الأفلام المصرية تأثيرٌ في تركيا الأربعينيات

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تأثير كوكب الشرق

من بين الأسماء الموسيقية العربية التي يُبدي مراد أوزيلدريم اهتماماً بها، تتّخذ أم كلثوم مكانة خاصّة. كان لكوكب الشرق دور في دخوله عوالم هذه الموسيقى، هو الذي أسّس قبل أعوام أوّل موقع إلكتروني تركي مخصّص لها. بعد «وحدة الموسيقى العربية والتركية في القرن العشرين» (الغلاف)، يعمل الباحث التركي على الانتهاء من كتاب ثانٍ، حول أم كلثوم، يسعى فيه إلى تفحّص أثرها على الموسيقى التركية، ولا سيّما لون الأرابيسك.

إضاءة

كي لا تكون الثقافة سلسلةً من العابرين

عندما تورَّث المكتبات

قد يؤدّي غياب التأمين الضروري لمبادرات تسليم المكتبات لمؤسّسات عمومية إلى نفور المثقّفين من الإقدام على مثل هذه الخطوة الحميدة

شوقي بن حسن

مع توقّف الحياة الثقافية في تونس بسبب موجات الوباء المتتالية، لعلّنا نتوقّف - مع تباطؤ المشهد - على أشكال مختلفة لتداول الثقافة لا نتوقّف عندها عادة، مثل مبادرات مثقّفين بتسليم محتويات مكتباتهم إلى مؤسّسات ثقافية عمومية كي يستفيد منها الباحثون، فلا تذهب هدراً كتركة مثل كلّ التركات.

ما يُلاحظ في تونس خلال السنوات الأخيرة تنوّعُ هذه المبادرات، حيث لا يقتصر الأمر على مثقّفين راحلين. من ذلك أن الروائي التونسي عبد الواحد براهم (1933)، أهدى الكتب التي يملكها إلى «المكتبة العمومية» لمدينة بنزرت، منذ بضعة أسابيع، في حركة نادرة من مثقّف لا يزال على قيد الحياة.

تختلف هذه المبادرات أيضاً على سلّم العناية الإعلامية، فبضعها يجري الاحتفاء به، فيما تظلّ أخرى خارج دائرة الضوء. يمكن أن نذكر موجة الترحيب بإعلان «المجمع التونسي للآداب والفنون والعلوم - بيت الحكمة» استلام مكتبة المؤرّخ التونسي الراحل مؤخّراً هشام جعيّط (1935 - 2021)، بحسب وصيّته، وهو حدث ثقافيّ وازن، فما المؤلفات الأساسية التي وضعها جعيّط في الفكر والتاريخ الإسلامي إلّا ثمرةَ مكتبته.

مقابل تسليط الضوء على انتقال مكتبة جعيّط إلى «بيت الحكمة»، لم يجر التوقّف عند خبر إهداء الكاتب والباحث المسرحي اللبناني الفرنسي روبير أبي راشد (1930 - 2021)، مكتبته إلى «المعهد العالي للفنّ المسرحيّ بتونس»، بناءً على وصيّته، وهو الذي رحل في الخامس عشر من الشهر الجاري، ما دفع المؤرّخ المسرحي محمد المديوني إلى التأكيد ـ في تدوينة فيسبوكية ـ على رمزية مبادرة أبي راشد.

كتب المديوني: «ما الذي دعا روبير أبي راشد، الناقد المنظّر، أن يُهدي مكتبته الضخمة بكلّ ما فيها وبكلّ ما يُمكن أن تعنيه إلى «المعهد العالي للفنّ المسرحيّ بتونس»؟ ما الذي دعاه إلى أن يفعل ذلك وكان بإمكانه أن يهديها إلى إحدى الجامعات التي فيها درَس وهي كثيرةٌ وهامّة، وآخرُها «جامعة نانتير» الباريسية؟».

يؤكّد المديوني على العلاقة المتينة التي ربطت بين أبي راشد وكثير من الباحثين التونسيين في المسرح، ولكنّ هذه الروابط قد لا تفسّر وحدها مبادرته، فهناك ما هو أعمق في مبادرة أبي راشد حين يهب «مكتبته الخاصة التي هي أهمّ ما يُمكن أن يتركه أستاذٌ وباحث ومنظّر»، بحسب عبارات المديوني، الذي يضيف: «إنّ من بين أهمّ ما يُمكن أن يُكرَمَ به روبير أبي راشد بيننا، في تقديري، وقد سافر سفره الأخير، هو الاعتراف بنُبله المتجلّي في الوفاء للصداقة والأصدقاء وفي تقديره لتونس». ولا يبدو صمت الساحة الثقافية التونسية شكلاً من أشكال الاعتراف الذي دعا إليه المديوني...

لا ينبغي أن تمرّ هذه المبادرات بشكل عابر؛ ينبغي أن تُشحن بالمعنى، فجعل عموم القرّاء ورثةً للمكتبة الشخصية لهذا الكاتب أو ذاك هو أرسخُ أشكال التواصل الثقافي لو كنّا نُدرك. يشير تواتر المبادرات الأخيرة إلى أن تقليداً قد أُرسي في تونس بين المثقّفين لتسليم تركاتهم من الكتب لمؤسسات عامة، لكنّنا لا نجد تقليداً موازياً في الاحتفاء بذلك وإعطائه حقّ قدره.

في 2017، مرّ حدث تسليم مكتبة الناشر التونسي الحبيب اللمسي (1930 - 2017)، إلى مؤسسة «دار الكتب الوطنية»، بناء على وصيّته، دون كثير تعقيب. كأنما يندرج ذلك ضمن العادي من شؤون الحياة، في حين أن الأمر يتعلّق بمكتبة تُقدّر بحوالى 50 ألف كتاب تتضمّن النادر من الكتب والمخطوطات. بل إن مكتبة اللمسي لم تكن مكتبة رجل كان يجمع الكتب فحسب، بل هي أيضاً مكتبة رجل كان يجمع المكتبات، فمثلاً كان تحويل مكتبته إلى مؤسسة عامة فرصةً لاكتشاف مكتبة المؤرّخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب (1884 - 1968)، بعد نصف قرن من رحيله، والتي أسرع اللمسي إلى شرائها كاملةً حين علم بنيّة الورثة التفريط بها.

ألا تجد هذه المبادرات التثمين الضروري قد يكون سبباً في نفور عدد من المثقّفين من الإقدام على مثل هذه الخطوة الحميدة. هناك حسُّ امتنانيّ مشترك ينبغي أن نضخّ به حياتنا الثقافية، وهو أحد شروط الترابط العضوي بين الأجيال التي تتعايش ضمن ثقافة واحدة. ما يغذّي الفكر والأدب ليس دائماً هو ما يظهر تحت الأضواء وضمن تدفق الراهن واليومي، بل هو أيضاً مثل هذه الوشائج الخفيّة بين الأجيال: أن تفتح كتاباً فتعرف أن كاتباً مرموقاً كان سبباً لوصوله بين يديك. إنها منظومة كاملة ينبغي أن تشتغل على أكمل وجه، بما يقتضيه ذلك من عناية دؤوبة وصبورة، كي نتحدّث عن تراكم مخصب... وإلّا فما ثقافتنا إلا سلسلة من العابرين.

> ينبغي أن نضخّ حياتنا الثقافية اليوم بحسّ امتنانٍ مشترك

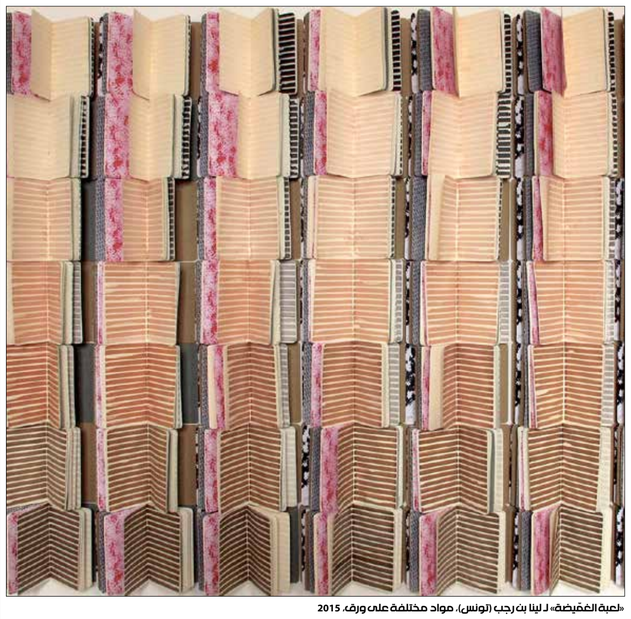
«لعبة الغميضة» لـ لينا بن رجب (تونس)، مواد مختلفة على ورق، 2015

معرض

ذكريات جميلة عن فلسطين كتبٌ وخرائط وصوَر

سيرة بصرية لثلاثمئة عام

يضيء المعرض، المقام حالياً بمكتبة «المتحف الإسلامي» في الدوحة، التصورات التي بناها الشرق والغرب حول القدس ومدن فلسطين في عشرات المخطوطات

الدوحة ـ **العربي الجديد**

يُضمّن الشاعر والفيلسوف الفارسي ناصر خسرو (1004 - 1088 م)، في كتابه «سفر نامه»، مخططاً للمسجد الأقصى، الذي زاره في رحلة طاف خلالها مدناً عديدة في بلاد الشام ومصر، حيث يفصّل المخطّط عناصره المعمارية ويفيض في شرح جمالياتها ووظائفها. كتاب خسرو يجاور العديد من المؤلّفات والخرائط والرسومات والصور التي توثّق تاريخ فلسطين بين عامي 1610 و1930، ويحتويها معرض «ذكريات جميلة عن فلسطين» الذي افتُتح في العشرين من الشهر الماضي في مكتبة «متحف الفن الإسلامي» في العاصمة القطرية ويتواصل حتى نهاية أيلول/ سبتمبر المقبل. المعرض الذي يندرج ضمن فعاليات «الدوحة عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي 2021»، يضيء أكثر من ثلاثة قرون وُضعت خلالها مئات الكتب حول القدس والعديد من المدن الفلسطينية، تعبّر عن اهتمام العلماء والأدباء المسلمين في لحظة تحرّر هذه الحواضر من قبضة الأوروبيين مع بقائها جزءاً من أطماعهم الاستعمارية التي عكستها كتابات رحّالتهم وفنانيهم وقادتهم العسكريين.

«اتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى» عنوان الكتاب الذي تختلف الروايات في تحديد اسم مؤلّفه، لكنّ أكثرها ترجيحاً تنسبه إلى محمد السيوطي، الذي يمزج فيه بين وقائع شخصية عاشها في زيارته للمسجد، وبين إيجازه تاريخ المكان وعمرانه في حقب مختلفة، ومكانته في الإسلام والمرويات الدينية، في مجلّدين كبيرين وُضعا في بداية القرن الخامس عشر، وتحتفظ مكتبة المتحف بنسخة محقّقة منه.

في قسم «مناظر القدس»، يتتبّع المعرض التغيّرات التي طرأت على المدينة المقدّسة من خلال مقارنة الصور المختلفة المعروضة في كتب الرحّالة الأوروبيين، بدءاً من مخطوطة بالتزار غيران عام 1610، مروراً بكتب «الحجّ الحقيقي إلى الأراضي المقدّسة» (1615) لـ سيور دي فيرغونسي، و«رحلة من البندقية إلى الأراضي المقدّسة وجبل سيناء» (1781) لـ نووي بيانكو، و«رحلات دون أكويلانتي روتشيتا إلى الأراضي المقدّسة ومقاطعات أخرى» (1630) لـ أكويلانتي روتشيتا، و«أحجار فلسطين: ملاحظات عن نزهة عبر الأرض المقدّسة» (1865) لـ أوغوستا موت.

يُتيح المنظّمون تنزيل نسَخ رقمية من هذه المخطوطات لزوّار المعرض على موقع «متاحف قطر» الإلكتروني، وفيها يلاحظ اعتناءُ أصحابها بدقّة تفاصيل القدس من شوارع وأسواق ونوافير ودور عبادة، بالإضافة إلى سورها وبوّاباتها، حيث تبرز التوسّعات والتطوّرات في المدينة من خلال المقارنة بين الرسوم والخرائط التي تحتشد بها هذه الكتب.

أمّا قسم «المساجد»، فخُصّص للمساجد والمصلّيات الثلاثة في البلدة القديمة، وهي الأقصى والقبة اللذان بُنيا في القرن السابع الميلادي، ومسجد عمر بن الخطاب الذي يعود إنشاؤه إلى عام 1193، حيث تُعرض مؤلّفاتٌ عدّة أفرد كتّابها الأوروبيون لوحات فنّية وصوراً فوتوغرافية للمعالم الثلاثة.

> تتبعٌ للتغيرات التي عرفتها القدس واختلاف صورتها في كتب الرحّالة

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

رسم للمسجد الأقصى في نسخة من كتاب «سفر نامه» لناصر خسرو (من المعرض)

فعاليات

حتى نهاية الشهر الجاري، يتواصل **معرض عيد الأضحى للكتاب** الذي انطلق في الساحة الهاشمية في وسط العاصمة الأردنية صباح أمس الثلاثاء. المعرض الذي يواظب **كشك سمّور** على تنظيمه كلّ عام، يقدّم لزوّاره آلاف العناوين من الإصدارات الجديدة، إلى جانب الكتب المستعملة التي تشكّل معظم المعروضات.

تتواصل حتى مساء غد الخميس فعاليات تكريم الموسيقار الجزائري **أحمد مالك** (1931 - 2008/ الصورة) في «متحف السينما الجزائرية» بالجزائر العاصمة، بعد أن افتُتحت الأحد الماضي. يقدّم المتحف أربعة أفلام ألّف مالك موسيقاها التصويرية، وهي **عطلة المفتش الطاهر** لـ **موسى حداد** و**عمر قتلاتو** لـ **مرزاق علواش**، و**ليلى والآخرون** لـ **سيد علي مازي** و**بربر** لـ **أحمد لعلام**.

تنظّم **مكتبة قطر الوطنية** في الدوحة عند الخامسة من مساء الأربعاء المقبل فعالية افتراضية عبر منصّة «ميكروسوف تيمز»، تتضمّن رحلة متخيّلة إلى القدس من خلال مجموعات كتب المكتبة، حيث يُستكشَف تاريخ المدينة المقدّسة وثقافتها ومبانيها وطبيعتها ومعالمها الدينية والجغرافية والتاريخية.

ضمن فعاليات الموسم الرابع من «سينما الانشراح»، يُعرض في «جمعية الثقافة العربية» بمدينة حيفا المحتلّة عند الثامنة من مساء الثلاثاء المقبل فيلم **شارع حيفا** (2019) للمخرج العراقي **مهند حيال**. تدور أحداث العمل في بغداد بعد الاحتلال الأميركي، حيث يذهب البطل لخطبة فتاة، فيصاب برصاصة قنّاص.